كلا احد يغترف منها ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد
وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان اكثر كلاما وفلان اكثر علما وقال ابو سليمان المعرفة
الى السكوت اقرب منها الى الكلام وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام وكتب سلمان الى ابي الدرداء
وكان قد آخى بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اخي بلغني انك اقعدت طبيبا تداوي المرضى
فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان ابو
الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل وكان انس اذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس يقول سلوا
جابر بن زيد وابن عمر يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكي انه روى صحابي في حضور الحسن عشرين
حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ما عندي الا ما رويت فاخذ الحسن في تفسيرها حديثا
حديثا فتعجبوا من حسن حفظه وحسن تفسيره فاخذ الصحابي كفا من حصى ورماهم
به وقال تسئلوني عن العلم وهذا الحبر بين اظهركم ومنها ان يكون اكثر اهتمامه بعلم
الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكها وصدق الرجاء في
انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة القلب تفضي الى المشاهدة في دقايق علم القلوب
فان المجاهدة وينفجر بها ينابيع الحكمة من القلب اما الكتب والتعليم فلا يفي بذلك بل الحكمة
الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس
مع الله في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكر والانقطاع الى الله عما سواه فذلك مفتاح الالهام
ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم
في التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكم ما تحار فيه عقول ذوي
الالباب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وفي
بعض الكتب السالفة يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم
الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر فيأتي به العلم مجعول في قلوبكم تادبوا
بين يدي باداب الروحانيين وتخلقوا باخلاق الصديقين اظهره لكم من قلوبكم حتى يغطيكم
ويغمركم وقال سهل بن عبد الله التستري خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة
ولم يفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ولولا ان
ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال استفت قلبك وان افتوك
وافتوك وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا الحديث فكم من معان دقيقة من اسرار القران تخطر
على قلب المتجرد للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين
فاذا انكشف ذلك للمراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا ان ذلك من تنبيهات
القلوب الزكية والطاف الله تعالى بالهمم المتوجهة اليه وكذلك في علوم المكاشفة واسرار
المعاملة ودقايق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه فحديث طويل

علي رضي الله

علي رضي الله عنه القلوب اوعية وخيرها اوعاها والناس ثلثة عالم رباني ومتعلم
على سبيل النجاة وهمج رعاع اتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم
يلجؤوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال العلم يزكو على الانفاق والمال
ينقصه النفقة ومحبة العالم دين يدان به تكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة وبعد موته
العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان المال وهم احياء والعلماء
باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء فقال اهاه ان هيهنا علما جما لو وجدت
له حملة بل اجد لقنا غير مامون يستعمل آلة الدين في طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله
على اوليائه ويستظهر بحجته على خلقه او منقادا لاهل الحق ينزرع الشك في قلبه باول
عارض من شبهة لا بصيرة له لا ذا ولا ذاك فمنهوم باللذة سلس القياد في طلب الشهوات
او مغرى بجمع الاموال والادخار منقادا لهواه اقرب شبها بهما الانعام السائمة اللهم
هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه بل لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف
واما خائف مقهور كيلا تبطل حجج الله وبيناته وكم واين اولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا
اعيانهم مفقودة وامثالهم في القلوب موجودة يحفظ الله بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم
ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا
ما استوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة
بالمحل الاعلى اولئك اولياء الله من خلقه وعماله في ارضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه
الى رؤيتهم فهذا الذي ذكره اخيرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذي يستفاد اكثره
من العمل والمواظبة على المجاهدة ومنها ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين
هو راس مال الدين قال صلى الله عليه وسلم اليقين الايمان كله ولا بد من تعلم اليقين اوائله ثم اعني ص
ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين
فاسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما يقوى يقينهم وقليل
من اليقين خير من كثير العمل وقال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل
مجتهد في العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته
اليقين لن تضره الذنوب لانه كلما اذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل
به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطي حظه
منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل
الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ
ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد احرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات
المشركين واراد به اليقين وقد اشار القران الى ذكر الموقنين في مواضع دل بها على ان اليقين هو الرابطة
للخيرات والسعادات فان قلت فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه اولا ثم

Copyright @ King Saud University